المطلب الثالث
شبهة أن الوحى مقتبس من اليهودية والنصرانية والرد عليها

لقد زعم المستشرقون أن الوحي انبثق فى الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية ولكن محمد كيفه تكيفاً بارعاً وفقاً لمتطلبات شعبه الدينية[1] ويرشح لنا جولد تسيهر كيف تم له ذلك، وكيف أصبحت تعاليم اليهودية والنصرانية، وحياً تبناه محمد ، فيقول : "فتبشير النبى العباس ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التى تأثر بها تأثراً عميقاً، لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً، فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحى"[2]0

وقد وصل الأمر ببعضهم وهو ما حكاه فيليب حتى، أن زعموا أن الإسلام برمته بدعة نصرانية أكثر منه ديناً جديداً[3]0

ولم يخف جولد تسيهر قوله فى أن النبى قد تتلمذ على رهبان النصارى مثل ورقة بن نوفل، وبحيرا، ونسطورا، وصهيب الرومى، وسلمان الفارسى، المسيحى الأصل، وأحبار اليهود مثل عبد الله بن سلام، الذين كانوا أساتذة له[4] وكيف تم الاتصال بأولئك؟0

---

1 () ينظر : تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ص 69، ومقالة فى الإسلام لجرجس سال ص 11، وحياء محمد لدر منغم ص 125، 126، والاستشراق فى السيرة لعبد الله النعيم ص 38، والفكر الإسلامى نقد واجتهاد للدكتور محمد أركون ص 137، والإسلام بدون حجاب، بحث مستل من شبكة الإنترنت لمؤلف مجهول ص 11 0

2 () العقيدة والشريعة فى الإسلام ص 5، 6 0

3 () تاريخ العرب 1/176 0

4 () العقيدة والشريعة ص 13، 14، وحياة محمد لدر منغم ص 125، 126، ودائرة المعارف الإسلامية ترجمة أحمد الشنتناوى وغيره المجلد 8/232، والاستشراق فى السيرة النبوية لعبد الله محمد الأمين ص 65، ومناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء 1/37، 38، والوحى القرآنى فى المنظور الاستشراقى ونقده للدكتور محمود ماضى ص 117، 145 0

يرى بروكلمان أن ذلك تم من خلال رحلاته، والذين عاشوا معه بعـد إسلامهـم[1]0

وقد حاول المستشرقون الرجوع فى كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية أو الاثنين معاً[2]0

قال بروكلمان : "وتأثرت اتجاهات النبى الدينية فى الأيام الأولى من مقامه فى المدينة، بالصلة التى كانت بينه وبين اليهود... فشرع صوم العاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم، على غرار الصوم اليهودى فى يوم الكفار الذى يقع عندهم فى العاشر من شهر تشرى، وبينما كان المؤمنون في مكة لا يصلون إلا مرتين فى اليوم، أدخل فى المدينة على غرار اليهودية أيضاً، صلاة ثالثة عند الظهر... كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار "السبت" اليهودى...[3]0

ويجاب عن هذه الافتراءات بما يلى :

أولاً : الناظر فى شبهتهم تلك يلاحظ أنها تقوم على أنقاض الشبهتين السابقتين، إذ لما لم يكن لقولهم بهما قدم يثبت عليها، أو لك أن تقول : ساقان تحملانه عندما اصطدم مع الحق الذى لا يسمع منصفاً مخالفته، حسبما مر بك عند نقض هاتين الشبهتين، وهنا لم يجدوا بداً من أن يقولوا هذا القول الوارد فى هذه الشبهة (أعنى فى هذا المطلب) ويلاحظ أيضاً، أن زعمهم هذا لا يعدو كونه عين ما ردده جهال قريش من قبل حين قالوا كما أخبر القرآن : ﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر**﴾[4]. وبذلك يتضح لك أن الكفر ملة واحدة، مهما تباعدت أزمانه واختلفت أوطانه 0

إن ما زعمه هؤلاء الملحدون هنا، هو باطل من القول سودوا به صفحات التاريخ إذ الحق الذى لا مناص عنه، ثبوت العصمة لسيدنا محمد ﷺ فى دعواه النبوة، وفى كل ما يخبر به من الوحى عن ربه عز وجل، على ما مر سابقاً فى دلائل عصمته فى تبليغ الوحى من خلال القرآن والسنة[5] كما أنه لم يكن لأحد

---

1 () ينظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص 34 0

2 () ينظر : العقيدة والشريعة ص 17، 18، وتاريخ الشعوب الإسلامية ص 47، 48،71، 79، وتاريخ العرب ص 181 – 183، وملوك الطائف ص 405، والرسول فى كتابات المستشرقين ص 137 0

3 () تاريخ الشعوب الإسلامية ص 46، 47، وينظر : الاستشراق فى السيرة النبوية ص 38، 49، 52، 65 0

4 () الآية 103 النحل 0

5 () يراجع : ص 264 – 277 0

عليه فضل فيما جاء به، غير الله تعالى؛ فأنى لأحد من البشر كائناً من كان أن يكون له قبل بما جاء به فينصبونه معلماً له؟0

ثانياً : أين هذه الرحلات التى يتكلم عنها جولدستيهر، وبروكلمان، ومن شايعهما، والتى التقى فيها النبى بأحبار اليهود، ورهبان النصارى، وأخذ عنهم؟ ومتى كانت؟ وأين تم هذا اللقاء؟ وكم مدة قضاها ليتلقى تلك الدروس حتى يهضمها ويستوعبها؟ ومن هم الذين أخذ عنهم؟ وماذا أخذ؟ 0

أسئلة يعجز المستشرقون عن إجابتها، لأنها لا إجابة لها البتة، إذ الإجابة عنها من صنع الخيال، وترهات الأفكار 0

إن ما زعموه بأنه من الممكن أن يكون رسول الله تلقف هذا الذى جاء به من بحيرا[1] ونسطورا[2] الراهبين، زعم باطل. وذلك لأن المعروف الثابت تاريخياً أن النبى ، لم يلق "بحيراً" هذا إلا مرة واحدة، وهى المرة الأولى التى سافر فيها إلى الشام، وكان معه عمه أبى طالب، وكان عمره ، إذ ذاك لا

---

1 () بحيرا : راهب. قيل إنه كان يهودياً من يهود تيماء، وقيل كان نصرانياً من عبد القيس، يقال له جرجس، لقيه النبى [illegible]

2 () هو : بطريرك الإسكندرية سنة 431م، وهو الذى قال بأن مريم لم تلد إلا الإنسان فهى بذلك أم الإنسان، وليست أماً لإله، وأتباعه هم النساطرة، ومذهبهم وضع الأساس للقول بطبيعتين فى المسيح. ينظر : الموسوعة المسيرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص 502، 503، والملل والنحل للشهرستانى 2/251 – 253 0

يتعدى اثنتى عشر عاماً[1] ولا يعقل أن يكون سيدنا محمد قد أخذ عنه، وهو فى هذه السن شيئاً0

وأنى "لبحيرا" وما حواه الوحى الإلهى قرآناً وسنة، من علوم وأخبار ماضية ومستقبلة؟ هذا لو فرضنا أنه يمكن أن يكون قد أخذ عنه شيئاً0

إن الباحث المصنف لو استنطق التاريخ، ما زاد على أن يقول له : إن الراهب "بحيراً" لما رآه تظله سحابة من الشمس، ورأى فيه بعض أمارات النبوة ذكر لعمه، أنه سيكون له شأن، وحذره أن تناله اليهود بأذى 0

وكذلك الحال عندما مر رسول الله بالراهب نسطور، وهو فى طريقه إلى الشام، يعمل فى تجارة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، وكانت هذه هى المرة الثانية والأخيرة فى رحلاته خارج مكة، وكان إذ ذاك شاب فى الخامسة والعشرين من عمره، وفى صحبته غلام خديجة ميسرة[2] والذى تحدث به

---

1 () القصة رواها ابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام 1/236 – 238 نص رقم 177، 178، والترمذى فى سننه كتاب المناقب، باب ما جاء فى بدء نبوة النبى 5/550

2 () القصة أخرجها ابن سعد فى طبقاته 1/129، وابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام 1/242 نص رقم 184، وأبو نعيم فى دلائل النبوة 1/172 رقم 110 0

الراهب نسطورا عن رسول الله كان مع مسيرة، ولما تحقق الراهب من صفات النبوة فى رسول الله ، ما زاد على أن جاء إلى رسول الله ، وقبل رأسه وقدميه، وقال : آمنت بك، وأنا أشهد أنك الذى ذكره الله فى التوراة، ثم قال لميسرة بعد أن خلا به : يا ميسرة! هذا نبى هذه الأمة، والذى نفسى بيده إنه لهو تجده أحبارنا منعوتاً فى كتبهم[1]0

ولم تذكر الأخبار أنه كان حتى هناك مجرد حديث بين الغلام الصغير محمد وبين "بحيرا" و"نسطورا" وإنما الذى ذكرته الأخبار أن كل الحديث الذى تحدث به الراهب بحيرا عنه، كان مع عمه أبى طالب[2] والذى تحدث به الراهب نسطورا عنه كان مع غلام خديجة ميسرة! فماذا – يا ترى – سمع الشهود – عمه أبى طالب، وميسرة – من علوم هذا الأستاذ؟ هلا نبأنا التاريخ بنبأ ما جرى خلال هذا الحديث المزعوم الذى جمع فى تلك اللحظة القصيرة علوم القرآن والسنة كاملة؟!0

إن تلك الروايات التاريخية التى تتحدث عن اللقاء العابر بين رسول الله وبين بحيرا ونسطورا تحيل أن يقف كل من بحيرا ونسطورا موقف المعلم المرشد لسيدنا محمد ، لأن كلا منهما بشر عمه وميسرة، بنبوته، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التى يزفها، ثم ينصب نفسه أستاذاً لصاحبها الذى سيأخذ عن الله، ويتلقى عن جبريل، ويكون هو أستاذ الأستاذين، وهادى الهداة المرشدين! وإلا كان هذا الراهب متناقضاً مع نفسه!!0

إن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة، لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا، لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة[3]0

ثالثاً : ما زعموه من أن محمداً ، أخذ ما زعمه أنه وحى من الله تعالى، من ورقة ابن نوفل. هو – أيضاً – باطل كسابقه، وفى الرواية نفسها التى التقى فيها رسول الله بورقة[4] ما يبين بطلان مزاعم المستشرقين، وتهافت أقوالهم، وفسادها. وذلك فى النقاط التالية :

أ- تبين الرواية أن ورقة قد تنصر فى الجاهلية، ولكن المحدثين والمؤرخين استقصوا كل ما عرف عنه مم صح سنده، ومما لم يصح، فلم يعثروا على رواية تبين أنه كان داعية إلى النصرانية 0

ب- لم ينقل أن النبى قد لقى ورقة قبل هذا اللقاء أو رآه 0

جـ- لقد تم هذا اللقاء بعد مجئ ملك الوحى فى الغار، ونزول صدر سورة "اقرأ" وقد حضرت هذا اللقاء خديجة رضى الله عنها، وشهدته، وقد آمنت

---

1 () ينظر : المصادر السابقة 0

2 () يراجع : رواية لقائه [illegible]

3 () مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى 2/452 – 456 بتصرف واختصار، وينظر : الإسلام والمستشرقون لنخبة من العلماء المسلمين ص 228 0

4 () الحديث سبق ذكره، وتخريجه ص 197 0

بنبوة محمد ﷺ بعد ذلك، فلو كان هنالك تعلم وتلقى ما غاب ذلك عن بالها أبداً، ولكان صارفاً لها عن الإيمان به 0ﷺ

د- إن موقف ورقة على ما جاء فى هذا اللقاء، كان موقف المستطلع المستخبر لا موقف المعلم، فلما أخبره النبى ﷺ، خبر ما رأى، كان موقفه موقف المبشر المصدق المؤمن، المتطوع لمناصرة الحق، المؤيد للنبى ﷺ فيما نزل عليه من الوحى "هذا الناموس الذى نزل على موسى، ليتنى فيها جذعاً، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك...، وإن يدركنى يومك حياً، أنصرك نصراً مؤزرا"0

هـ- لم تذكر الروايات أنه ألقى إلى النبى ﷺ درساً أو عظة فى أى جزء من جزئيات الإسلام، كما لم يثبت أنه كان ﷺ، يتردد عليه لتلقى تلك الدروس، والذى يفهم من كلمته المختصرة السابقة، أنه كان يتمنى أن يبقى حتى يصبح ناصراً لدين الله، وجندياً مخلصاً، وتلميذاً ناجحاً للنبى ﷺ، لا أستاذاً مربياً، ولا عالماً معلماً 0

و- ثم إن ورقة لم يلبث بعد هذا اللقاء، إلا أن توفى وفتر الوحى عن رسول الله ﷺ، فكيف تكون هذه المقابلة الخاطفة ينبوعاً لما جاء به عليه الصلاة والسلام من الوحى؟0

ز- لو ثبت أنه ﷺ، أخذ ذلك من ورقة لما سكت أعداؤه أبداً، ولروجوا ذلك، وساروا به فى الناس جميعاً، وهم الذين تشبثوا بما هو أوهى من ذلك[1] 0

رابعاً : إنما زعموه من أنه ﷺ، أخذ ما جاء به من صهيب الرومى[2] لهو من أبطل الباطل. إذ أن صهيباً هذا كان حداداً يصنع السيوف، أعجمى اللسان، لا يعدو كلامه أن يكون رطانة[3] ولا يكاد يبين[4] ولذا قال القرآن الكريم : ﴿**لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين**0[5]﴾

---

[1] () ينظر : الإسلام والمستشرقون ص 228، والأدلة على صدق النبوة المحمدية ص 423، والوحى المحمدى ص 96 0

[2] () هو : صهيب بن سنان بن مالك الرومى، وإنما قيل له الرومى، لأن الروم سبوه صغيراً، وهرب من الروم لما كبر وعقل، فقدم مكة، وكان من السابقين إلى الإسلام، وكنيته أبو يحيى، كناه بها رسول الله [illegible]

[3] () بفتح الراء وكسرها، أى كلامه لا يفهمه أحد. ينظر : النهاية فى غريب الحديث 2/212، ومختار الصحاح ص 246،والقاموس المحيط 4/224 0

[4] () يراجع المصادر السابقة فى ترجمته 0

[5] () الآية 103 النحل 0

والمعنى : كيف يتعلم من جاء بهذا القرآن، فى فصاحته وبلاغته، ومعانيه التامة الشاملة، التى هى أكمل من معانى كل كتاب نزل على نبى أرسل؛ كيف يتعلم من رجل أعجمى؟! لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل[1] وليت شعرى : لو كان لصهيب أن يكون مرجعاً علمياً كما أرادوا أن يصفوه، فما الذى منع كفار مكة أن يأخذوا عنه، كما أخذ صاحبهم؟ وبذلك كانوا يستريحون من عنائه، ويداوونه من جنس دائه، بل ما منع صهيب أن يبدى للعالم صفحته، فينال فى التاريخ شرف الأستاذية، أو يتولى بنفسه تلك القيادة العالمية؟ بل ما منعه أن يدعى النبوة، فينسب لنفسه هذا المجد والفخار؟[2] إن فى عدم ادعاء صهيب شئ مما سبق، وعدم ثبوته عنه، مع صحة إيمانه برسول الله ، دليل على صدق رسول الله ، فى دعواه النبوة، وفى عصمته فى كل ما بلغ من وحى ربه 0

خامساً : ما زعموه من أنه ، تلقى الوحى من علماء أهل الكتاب فى عصره محض افتراء يرده القرآن الكريم الذى حفل بجدالهم ومحاوراتهم فى العقائد والتواريخ والأحكام 0

فالناظر فى محاورات القرآن لهم يرى بأى لسان يتكلم عنهم القرآن الكريم. إنه يصور علومهم بأنها الجهالات، وعقائدهم بأنها الضلالات، ومعارفهم بأنها الخرافات، وأعمالهم بأنها المنكرات 0

نعم. لا يعقل أن يصفهم القرآن بذلك ثم يقفون من صاحب هذه النبوة موقف المرشد والناصح! اقرأ إن شئت قول الله تعالى : **وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يأفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**[3] وقال تعالى : **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** إلى أن قال عز وجل : **وبصدهم عن سبيل الله كثيراً.**

---

1 () تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/523 0
2 () النبأ العظيم ص 82، 83 بتصرف 0
3 () الآيتان 30، 31 التوبة 0

وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل[1]0

وغير ذلك كثير مما هو منثور فى ثنايا سور القرآن الكريم، وهو سهل المنال لمن طلبه. مما يفيدك بأن قوماً أمثال هؤلاء لا يعقل – وحالهم هكذا – أن يتلقى عنهم رسول الله ، بل إنك ترى فيه معلماً يصحح لهم أغلاطهم، وينعى عليهم سوء حالهم 0

فلو كانوا معلمين له ، لمدحهم، وجاملهم، وتودد إليهم، وتقرب منهم، ولم يقف منهم هذا الموقف العدائى، حتى لا يفضحوا أمره، ويكشفوا حاله 0

ثم إن كثيراً من هؤلاء الذين يزعمون أنهم كانوا مصدر الوحى، قد أسلموا، وإسلامهم حجة قائمة على صدق نبوة رسول الله ، وعصمته فيما بلغ من الوحى الإلهى، ولو كان هؤلاء أعانوا النبى على الوحى، وأنه ليس من عند الله، لكانوا أدرى الناس حينئذ بحقيقة الإسلام، وبالتالى كانوا سيكونون أبعد الناس عنه، لأنهم يعرفون أنه دين ليس صحيحاً، ولكن أما وقد أسلموا وأخلصوا لله تعالى، لاسيما وأنه كانت هناك منافسة كبيرة بين أصحاب الأديان المختلفة فى ذلك الوقت، فإن ذلك كان لاستئصال ألسنة الخراصين، حتى يصابوا بالخرس رحمة بالتاريخ الذى كم لوثوه بألسنتهم هذه. وصدق رب العزة :

ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيد بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب[2] وقال عز وجل : **قل أرءيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين**0[3]

سادساً : من أقوى ما يدل على أن الإسلام لم يكن مقتبساً من اليهودية أو النصرانية، وجود الخلاف فى كثير من العقائد والأحكام؛ بل جعل الشارع الحكيم جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً له، ومن متطلبات الشرع، وهناك كثير من الأحكام جعلت العلة فيها هى مخالفة اليهود أو النصارى من ذلك :

1- قوله : **"إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم"**[4]0

---

1 () الآيات 155 – 161 النساء 0
2 () الآية 43 الرعد 0
3 () الآية 10 الأحقاف 0
4 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل 6/572 رقم 3462، وكتاب اللباس، باب الخضاب 10/366 رقم 5899، ومسلم (بشرح النووى) كتاب

2- وقوله : **"خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون فى نعالهم ولا خفافهم"**[1]0

3- عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها، ولم يجامعهن فى البيوت. فسأل أصحاب النبى ، النبى ، فأنزل الله تعالى : **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**[2] فقال رسول الله : **"اصنعوا كل شئ إلا النكاح"** فبلغ ذلك اليهود فقالوا : "ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه"[3] قال الإمام ابن تيميه[4] : "فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم فى عامة أمورهم، حتى قالوا : "ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه"[5]0

فهذا إقرار من اليهود عليهم لعائن الله، بمخالفة النبى لما كانوا عليه من شعائر حتى اشتهر ذلك بينهم، ألا يكفى ذلك برهاناً ساطعاً على بطلان قول المستشرقين : أنه كيف شعائر الإسلام لتتفق مع شعائر اليهود؟[6]0

اللباس والزينة باب مخالفة اليهود فى الصبغ 7/330 رقم 2103 من حديث أبى هريرة رضى الله عنه 0

1 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة، باب الصلاة فى النعال 1/176 رقم 652، والبيهقى فى سننه، كتاب الصلاة، باب سنة الصلاة فى النعلين 2/432، والحاكم فى المستدرك 1/391 رقم 956 وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى 0

2 () الآية 222 البقرة 0

3 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها 2/214 رقم 302 0

4 () هو : أحمد بن عبد الحليم بن تيميه، الحرانى الدمشقي، تقى الدين، أبو العباس، الإمام المحقق، الحافظ، المفسر، الأصولى، الأديب، النحوى، بلغت تصانيفه ثلاثمائة مجلد : منها رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ومنهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية، وغير ذلك مات سنة 727هـ له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 4/1496 رقم 1175، والدر الكامنة لابن حجر 1/144 رقم 409، وطبقات المفسرين للداودى 1/46 رقم 42 0

5 () اقتضاء الصراط المستقيم 1/187 0

6 () ينظر : تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ص 46، 47 0

أولم يكفهم أنه ﷺ، أخرج اليهود أذلاء حقيرين من المدينة، وأجلاهم عنها لما نقضوا عهودهم معه، وأبى عليهم أن يساكنوه فى بلد واحد؟[1] وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله : ﴿**هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر**﴾[2] أما وقف المستشرقون على الآيات والأحاديث العديدة الذامة لليهود الهاتكة لستورهم؟ أفى ذلك أيضاً دلالة على أن النبى كان يتقرب منهم ويتزلف لهم لكسبهم وإرضائهم؟0

إن النبى ﷺ، منذ أن بعث وحمل رسالة الإسلام، نسخ الأديان السابقة، وأبطل شرعيتها، فلا نجاة لأحد من الخلق يهودياً كان أو نصرانياً إلا بالتزام شرعه، والسير على نهجه، وهو القائل ﷺ : **"والذى نفس محمد بيده، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار"**[3]0

والحديث هنا بياناً وتأكيداً لقوله تعالى : ﴿**قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**0[4]﴾

---

1 () روى البخارى ومسلم فى صحيحهما بسندهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : "حاربت النضير وقريظة، فأجلى بنى النضير، وأقر قريظة، ومن عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبى ﷺ [illegible]".

2 () الآية 2 الحشر، والمراد بالآية يهود بنى النضير. ينظر : تفسير القرآن العظيم 8/81 0

3 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ [illegible]

4 () الآية 158 الأعراف 0

فلا بقاء لدين مع دينه ، ولا شريعة مع شريعته، بل دينه هو الحاكم والمهيمن على كل الأديان. قال تعالى : **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**0[1]

سابعاً : ما زعموه من إرجاع كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية، أو الاثنين معاً، زعم باطل لما يلى :

أ- لأن استدلالهم بصوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه، بناء على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "قدم النبى المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : **ما هذا؟** قالوا : هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال : **فأنا أحق بموسى منكم فصامه، وأمر بصيامه"**[2]. فعلة الموافقة الواردة فى الحديث هى التى بنى عليها المستشرقون شبهتهم السابقة، ويجاب بالآتى :

1- لقد ثبت أن النبى ، كان يصوم عاشوراء فى الجاهلية قبل قدومه المدينة، ويدل على ذلك قول عائشة رضى الله عنها : "كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية، وكان رسول الله ، يصومه، فلما قدم المدينة، صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه"[3]0

وفى رواية : "وكان يوم تستر فيه الكعبة"[4] فدل بهذا على أنه ، لم يصمه موافقة لليهود واقتداء بهم، وإنما صامه وأمر بصيامه تقريراً لتعظيمه وتأكيداً، وأخبر أنه وأمته أحق بموسى من اليهود، فإذا صامه موسى شكراً

---

1 () الآية 48 المائدة 0

2 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها : كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء 4/287 رقم 2004، وكتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى : [illegible] 6/494 [illegible]

3 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها : كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء 4/287 رقم 2002، وكتاب الحج، باب قول الله تعالى : [illegible] 3/531 [illegible]

4 () هى لفظ البخارى فى كتاب الحج فى الأماكن السابقة نفسها 0

لله، كنا أحق أن نقتدى به من اليهود، لاسيما إذا قلنا : شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يخالفه شرعنا[1]0

2- إن النبى ، بين نوع مخالفة لليهود فى صيام عاشوراء، عندما شرع صيام يوم قبله، أو بعده، فعن ابن عباس قال : حين صام رسول الله ، يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا : يا رسول الله. إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله : **"فإذا كان العام المقبل، إن شاء الله، صمنا اليوم التاسع"** قال : فلم يأت العام المقبل، حتى توفى رسول الله "[2] وعنه أيضاً مرفوعاً : **"صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً"**[3] فدل ذلك على مخالفته لهم فى صيامه 0

ب- وأما زعمهم أن المؤمنين كانوا لا يصلون فى مكة إلا مرتين فى اليوم، ثم أدخلت صلاة ثالثة عندما ذهبوا إلى المدينة على غرار اليهودية، فهو زعم فى وهن خيط العنكبوت، إذ الصلوات الخمس فرضت بمكة ليلة الإسراء، حين عرج بالنبى ، إلى السماء، ولا خلاف بين أهل العلم، وأهل السير فى ذلك[4]0

وهذا الذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة، التى وردت فى صفة الإسراء والمعراج فى الصحيحين وغيرهما، من أحاديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم[5] وفى أحدها قوله : **"فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى، وبين موسى عليه السلام، حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة"**[6]0

---

1 () زاد المعاد 2/70، وينظر : اقتضاء الصراط المستقيم 1/413، وفتح البارى 4/290 رقم 2004 0

2 () أخرجه مسلم(بشرح النووى)كتاب الصيام، باب أى يوم يصام فى عاشوراء 4/266 رقم 1134 0

3 () أخرجه أحمد فى المسند 1/241، والبيهقى فى سنده موقوفاً على ابن عباس، كتاب الصيام، باب صوم يوم التاسع 4/287 وقال الشيخ الأرناؤوط : وسنده صحيح. ينظر : زاد المعاد 2/69 الهامش، وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف نحوه موقوفاً على ابن عباس أيضاً 4/287 رقم 7839 0

4 () ينظر : الجامع لأحكام القرآن 10/210 0

5 () ينظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة 1/547 رقم 349، وكتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام 6/431 رقم 3342، وصحيح مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله [illegible]

6 () هذه الرواية بهذا اللفظ أخرجها مسلم فى صحيحه (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها 0

جـ- وأما زعمهم أنه جعل الجمعة، يوم صلاة عامة، على غرار السبت عند اليهود، فهو أيضاً قول مخالف للصواب، لأن الله سبحانه شرع لعباده المؤمنين الاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾[1]0

وقد ثبت أن الله أمر الأمم السابقة بتعظيمه، فضلوا عنه، واختار اليهود السبت، والنصارى الأحد، وفضل الله هذه الأمة بيوم الجمعة لفضيلته[2] فعن أبى هريرة وحذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : **"أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة. نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون** يوم القيامة، المقضى لهم قبل الخلائق[3] ففى الحديث ذم لأهل الكتابين، على تفريطهم فى يوم الجمعة، ثم شرع ﷺ، صيام يوم السبت ويوم الأحد مخالفة لهما، كما جاء فى حديث أم سلمة رضى الله عنها، قالت : "كان رسول ﷺ، يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول : **إنهما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم"**[4]0

قال الحافظ ابن حجر : : "يوم السبت عيد عند اليهود، والأحد عيد عند النصارى، وأيام العيد لا تصام، فخالفهم بصيامها"[5]0

بعد هذا يتضح لك، أن وحي الله تعالى (كتاباً وسنة) والذى بلغه رسول الله ﷺ، بعصمة الله له، لم يكن مأخوذاً من اليهودية أو النصرانية، وإنما هو وحى مستقل، لم يتأثر بغيره، وبالتالى دين الإسلام، دين قائم بذاته، متميز عن غيره، وإذا وجد تشابه بين نسك إسلامى، وبين عمل سابق منسوب إلى شريعة اليهود

---

1 () الآية 9 الجمعة 0

2 () ينظر : تفسير القرآن العظيم 8/145 0

3 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة 3/407 رقم 856 والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة 2/412 رقم 876 0

4 () أخرجه أحمد فى مسنده 6/324، وله شاهد من حديث عائشة أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الصوم، باب صوم يوم الاثنين والخميس 3/122 رقم 746 وقال : حديث حسن، هذا وقد جاء من الأحاديث ما يدل على النهى عن صيام يوم السبت، إلا أن الإمام أبا داود رحمه الله يرى أن ذلك منسوخ. سنن أبى داود 2/320 رقم 2421، وينظر : أقوال العلماء فى ذلك، فتح البارى= =10/374 رقم 5917، والناسخ والمنسوخ لابن شاهين ص 341 رقمى 411، 412، ونيل الأوطار 4/249 0

5 () فتح البارى 10/375 رقم 5917 0

أو النصارى. دل ذلك على أن أصل الدين الذى جاء به رسل الله واحد. لقوله تعالى : **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**[1] وبياناً لذلك وتأكيداً له، قال : **"أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"**[2] والمراد بـ (إخوة لعلات) الذين أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد. أراد أن إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة[3] أهـ.

والله تعالى أعلى وأعلم

---

1 () الآية 13 الشورى 0

2 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب واذكر فى الكتاب مريم 6/550 رقم 3443، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ابن مريم 8/130 رقم 2365 من حديث أبى هريرة 0

3 () النهاية 3/263، وينظر : الفائق فى غريب الحديث 3/44، والمنهاج شرح مسلم 8/132 رقم 2365 0

المطلب الرابع
فرية الغرانيق والرد عليها

تشبث بعض المستشرقين وأبواقهم المقلدون لهم بما ذكره بعض كتـاب السيرة النبوية، وجماعة من المفسـرين، وطوائـف مـن المحـدثين فـي كتبهـم، بأقصوصــة "الغرانيــق" وألصــقوها بهجــرة الحبشــة، وجعلوهــا ســبباً لعــودة المهاجرين الأولين إلى مكة 0

وهى أقصوصة مختلقة، باطلة فى أصلها وفصلها، وأكذوبة خبيثة فى جذورها وأغصانها، واتخذ أعداء الإسلام منها سلاحاً للطعن فى عصمة رسول الله ﷺ، من تسلط الشيطان عليه، وعصمته فى بلاغه لوحى الله تعالى 0

ورغم أن علماء المسلمين قديماً وحديثاً بينوا بأوضح ما يكون البيان زيفها وبطلانها؛ إلا أنك تجد من ينتصر لهذه الفرية، ويطبل لها ويزمر من المستشرقين والمبشرين[1] وكذا أبواقهم المقلدون لهم الذين زادوا على أعداء الإسلام الطعن فى رواة السنة الشريفة والكذب عليهم بأنهم يصححون هذه الأكذوبة 0

يقول نيازى عز الدين[2] : "بعد نزول الآية : ﴿**أفرأيتم اللات والعزى**﴾[3] ألقى الشيطان نتيجة لتمنى الرسول ﷺ، ألا ينزل الله تعالى ما يغضب قومه من قريش، لأنه كان يطمع بإسلام بعض وجهائهم، فألقى الشيطان فى أمنية الرسول وفى ذهنه بعض الكلمات، فاعتقد أنها من الوحى، فطلب من كتبه الوحى تسجيله وكتابته فى نص القرآن الكريم[4] وكانت كما يلى : "أفرأيتم اللات والعزى، تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى" فسر القرشيون من المشركين بذلك، وسجدوا مع الرسول فى الصلاة، ولكن

---

1 () ينظر : الإسلام لألفريد هيوم ص 35، 36، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ص 34 0

2 () كاتب سورى معاصر، هاجر إلى أمريكا، من مؤلفاته : إنذار من السماء، ودين السلطان – الذى زعم فيه أن السنة المطهرة، وضعها أئمة المسلمين، من الفقهاء والمحدثين، لتثبيت ملك السلطان، ويصرح بأنه – أى السلطان – معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، ويصرح بأن فقهاء المسلمين ومحدثيهم قديماً، هم جنود السلطان وصار على دربهم علماء المسلمين إلى يومنا هذا 0

3 () الآية 19 النجم 0

4 () قوله : اعتقاد الرسول بأنها من الوحى، فطلب... الخ، هذه زيادة كاذبة منه على رسول الله فوق كذب القصة 0

بعد فترة نزل جبريل، وعاتب الرسول، وصحح الآية، ناسخاً ما ألقى الشيطان"[1]0

ويكرر فى موضع آخر الطعن فى عصمة رسول الله ، فى البلاغ، وفى عصمته من الشرك، ومن تسلط الشيطان عليه، بتفسير آيات النهى عن الشرك، والنهى عن اتخاذ إله آخر مع الله عز وجل، بأنها خطاب من الله عز وجل لرسوله مرة ثانية عن قصة الغرانيق، وكأن حال لسانه يقول : قصة الغرانيق صحيحة، وبصحتها أشرك رسول الله، واتخذ إلهاً آخر، وتأمل كلامه بعد أن سبقه بذكر الآيات التالية قوله تعالى : **ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين**[2] وقوله سبحانه : **ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون**[3] يقول : "فمن معانى الآيات ... يتبين أن الله تعالى يكلم الرسول مرة أخرى عن قصة الغرانيق، وأن شفاعتهن لترجى، ويوضح له كيف ألقاها الشيطان إلى لسانه، فأدخلها الرسول خطأ فى القرآن، إلى أن أتى جبريل، ونبهه على الموضوع، فنسخ تلك الآيات وأتى بدلاً عنها بخير منها : **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى. ألكم الذكر وله الآنثى**[4] وبين الله تعالى أسباب ذلك فى الآية : **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم**0[5]

ويحاول بعض الشيعة الطعن فى السنة النبوية وأهلها، وعلى رأسهم الإمام البخارى وصحيحه بإيهام القارئ أن فرية الغرانيق موجودة فى صحيح البخارى. إذ يقول جعفر مرتضى العاملى بعد أن ذكر فرية الغرانيق قال : "وأضاف البخارى سجود الإنس والجن إلى مجموع المسلمين والمشركين..."[6] ويكذب أحمد حجازى السقا[7] قائلاً : "فما تقول فى قصة

---

1 () إنذار من السماء ص 437 0
2 () الآية 87 القصص 0
3 () الآية 88 القصص، ويراجع : ما سبق فى توجيه هذه الآية وما قبلها ص 129 – 138 0
4 () الآيات 19 – 21 النجم 0
5 () الآية 52 الحج. وينظر : إنذار من السماء ص 523 0
6 () الصحيح من سيرة النبى الأعظم 3/138، وينظر : أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين ص 116، ودفاع عن السنة المحمدية

الغرانيق المروية فى كتب الصحاح"[1] ولم يبين لنا ما هى كتب الصحاح التى روت تلك الفرية؟!0

ويجاب عن هذه الفرية، وما اشتملت عليه من افتراءات أخرى بما يلى :

أولاً : إن هذه الأقصوصة المختلقة تنافى ما هو مقطوع به من عصمة رسول الله ، فى عقيدته من الشرك والشك والضلال والغفلة، وعصمته من تسلط الشيطان عليه، وكذا عصمته من الخطأ والسهو فى أمر التبليغ، وهو ما قام عليه إجماع الأمة، والأدلة القطعية من الكتاب والسنة، والسيرة العطرة، على ما سبق تفصيله[2]0

ثانياً : قيام الأدلة القطعية من القرآن الكريم على بطلانها، وأقرب دليل يشير إلى فساد هذه القصة ما يلى :

1- ما ذكره رب العزة فى أول سورة النجم، مؤكداً بالقسم على عصمة نبيه ، فى تبليغ وحيه، وأنه لا يخرج كلامه عن الحق، قال تعالى : **والنجم إلى هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى**[3] فكيف ينتظم هذا مع ذكر فى نفس السورة من نطقيه عن الهوى؟ بل وترديده ما يلقيه إليه الشيطان، على أنه آيات قرآنية إلهية؟! هذا مع قوله تعالى : **ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين**[4]. فها هو يتقول عليه، ولا يفعل به شيئاً؟ هل يعقل هذا؟!0

وإذا كانت هذه الآيات من سورة الحاقة، قد نزلت بعد سورة النجم، فإن ذلك لا يضر؛ مادامت الآية تعطى قاعدة كلية، ولا تشير إلى قضية خارجية خاصة، والقاعدة الكلية هنا : عصمته فيما يبلغ عن ربه عز وجل 0

2- ما جاء فى نفس السورة بعد الموضع الذى زعموا أنه ذكرت فيه الفرية من ذم أصنام المشركين "مناة، واللات، والعزى" والإنكار على عابديها،

أو الخطوط الطويلة لمحمد بن على الهاشمى ص 12، 41 0

[7] () كاتب مصرى معاصر، حصل على العالمية فى الدعوة من جامعة الأزهر، ورفض الأزهر تعيينه بالجامعة، من مؤلفاته التى شكك فيها فى مكانة السنة النبوية، كتابيه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى، وحقيقة السنة النبوية، وغيرهما 0

[1] () دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى ص 30 0

[2] () يراجع : دلائل عصمته [illegible]

[3] () الآيات 1-4 النجم 0

[4] () الآيات 44 – 47 الحاقة 0

وجعلها أسماء لا مسمى لها، وأن التمسك بعبادتها أوهام وظنون. قال تعالى : **إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**0[1]

فلو أن القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بينها، وبين ما قبلها وما بعدها، ولكان النظم مفككاً، والكلام متناقضاً. وكيف يطمئن إلى هذا التناقض السامعون، وهم أهل اللسان والفصاحة، وأصحاب عقول لا يخفى عليها مثل هذا، ولاسيما أعداؤه الذين يلتمسون له العثرات والزلات 0

فلو أن ما روى كان واقعاً لشغب عليه المعادون له، ولارتد الضعفاء من المؤمنين، ولثارت ثائرة مكة، ولاتخذ منه اليهود بعد الهجرة متكئاً يستندون إليه فى الطعن على النبى ، والتشكيك فى عصمته، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن 0

3- إن بعض الروايات الواردة فى القصة ذكرت أن فيها نزل قوله تعالى :

وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً0[2]

وهاتان الآيتان، حتى لو لم تكونا سبب النزول، فهما تردان القصة؛ لأن الله ذكر أنهم كادوا يفتنونه، ولولا أن ثبته لكاد أن يركن إليهم، ومفاداه أن الفتنة لم تقع، وأن الله عصمه وثبته حتى لم يكن يركن إليهم، فقد انتفى قرب الركون فضلاً عن الركون. فالأسلوب القرآنى جاء على أبلغ ما يكون فى تنزيه ساحته عن ذلك، وهم يرون فى أخبارهم الواهية، أنه زاد على الركون، بل افترى بمدح آلهتهم، وهذا ينافى ما تدل عليه الآية، وهو توهين للخبر لو صح، فكيف ولا صحة له؟[3]0

4- وقال تعالى : **قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين. وأمرت لأن أكون أول المسلمين. قل إنى أخاف إن**

---

1 () الآية 23 النجم 0

2 () الآيتان 73، 74 الإسراء، وينظر : جامع البيان لابن جرير 17/131 0

3 () الشفا 2/127، 128 بتصرف، وينظر : السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة 1/371، 372، وحياة محمد للدكتور محمد هيكل ص 144 0

عصيت ربى عذاب يوم عظيم. قل الله أعبد مخلصاً له دينى. فاعبدوا ما شئتم من دونه[1]. وتأمل الأسلوب الإنكارى التوبيخى فى قوله **فاعبدوا ما شئتم** وهى أشد من مجرد مدح الأصنام 0

فكل هذه الآيات وغيرها مما سبق ذكره فى مواضع عصمته [2] مما يكذب هذه القصة، ويظهر زيفها ووضعها على رسول الله 0

ثالثاً : مخالفة القصة لحقائق تاريخ السيرة العطرة، إذ أن سورة النجم تحمل الحديث عن المعراج، وكان المعراج بعد السنة العاشرة من البعثة باتفاق، أما قصة الغرانيق هذه فإن رواياتها تبين أنها كانت فى السنة الخامسة للبعثة، إبان الهجرة الأولى للحبشة، فى رمضان منها؛ وهذا مما يؤكد بطلان تلك المرويات، ويحقق كذبها ووضعها على رسول الله . يضاف إلى ذلك أن الرسول قبل إسلام عمر رضى الله عنه، ما كان يصلى عند الكعبة جهاراً نهاراً آمناً أذى المشركين له، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلى إذا خلا المسجد منهم، وعمر رضى الله عنه قد أسلم فى السنة السادسة، وهذه فى الخامسة، وبذلك يبطل هذا القول، وهو صلاته بحضورهم على هذه الهيئة. ومن المعلوم أن معاداتهم لرسول الله ، كانت أعظم من يقروا بهذا القدر من القراءة، دون أن يقفوا على حقيقة الأمر؛ فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً دون أن يتحققوا ذلك منه 0[3]

---

1 () الآيات 11 – 15 الزمر 0

2 () يراجع : ص 113 – 181 0

3 () الفصول الزكية فى سيرة خير البرية للدكتور عبد الموجود عبد اللطيف ص 284، 285 0

رابعاً : ذهب جماهير علماء الأمة من المحدثين، ومن المحققين الذين جمعوا بين المعقول والمنقول إلى إنكار القصة، والجزم بوضعها واختلاقها[1] وإليك نماذج من أقوالهم :

1- قال القاضى عياض : "إن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم... ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين التابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها، ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث ابن عباس[2] وضعفه الأئمة أيضاً. ثم نقل القاضى عن الحافظ البزار قوله : "هذا الحديث – أى فرية الغرانيق – لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ، بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد وهو: "يوسف بن حماد، عن أمية بن خالد، عن شعبة، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال ابن جبير : فيما أحسبه". وضعفه الإمام البزار بما يلى :

---

[1] () القصة أخرجها ابن جرير الطبرى فى تفسيره جامع البيان 17/186، وابن أبى حاتم فى تفسيره 8/2500 رقم 13998، وابن المنذر، ثلاثتهم من طرق عن سعيد بن جبير مرسلاً، ووصلها البزار فى مسنده، وكذا الطبرانى، وابن مردويه، والضياء فى المختار ة من طريق آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقال ابن جبير فيما أحسب، شك فى أن القصة بمكة، وأخرجه النحاس بسند فيه الواقدى عن ابن عباس، وابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، وابن جرير فى تفسيره 17/186 من طريق العوفى عنه، وعن محمد بن كعب القرظى، ومحمد بن قيس، وأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبى العاليه، وكلها مرسلة، وابن أبى حاتم فى تفسيره 8/2502 رقم 14003، عن السدى، وموسى بن عقبة فى المغازى عن الزهرى، ومن طريق موسى بن عقبة أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة 2/285، ورواها الطبرانى مرسلة عن عروة بن الزبير، وفى سنده ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا منه، كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/72 . وينظر : 6/32 – 34، والمعنى فى الروايات السابقة كلها للقصة واحد، كما قال الحافظ فى فتح البارى كتاب التفسير، باب سورة الحج 8/293، وينظر : مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا للسيوطى ص 221 0

[2] () الشفا 2/125، 126، وقال بقوله الإمام القسطلانى صاحب المواهب اللدنية، وشارحه الزرقانى 2/15 فى فاتحة كلامهما، ثم ذهبا إلى ما ذهب إليه ابن حجر، وسيأتى بيان كلام ابن حجر والتعقيب عليه أهـ 0

1- تفرد أمية بن خالد بنقل هذا الحديث مسنداً عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وغير أمية بن خالد يرويه مرسلاً عن سعيد بن جبير عن النبى ، ومن غير ذكر ابن عباس 0
2- وقوع الشك فى حديث شعبة، فسعيد بن جبير، وإن كان معتمداً لكن تردد أن النبى ، كان بمكة فى هذه القضية، أو بغيرها 0
3- رواية الكلبى لهذا الحديث عن أبى صالح عن ابن عباس، مضعفة أيضاً بأن الكلبى غير ثقة، وأن أبا صالح لم يسمع من ابن عباس، ففيها انقطاع، والمنقطع من أقسام الضعيف[1] فلا يحتج به[2]0

قال القاضى عياض : "فقد بين لك أبو بكر البزار رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوزه ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه، مع وقوع الشك فيه الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه"[3]0

قلت : وفى ذلك رد على قول الإمام السيوطى فى رواية ابن عباس الموصولة، بأن إسنادها جيد[4] زد على ذلك ما نقله القاضى عن القاضى بكر بن العلاء المالكى فى بيانه لضعف القصة من حديث ضعف سندها واضطراب متنها بقوله : "لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته : فقائل يقول إنه فى الصلاة، وآخر يقول : قالها فى نادى قومه، حيث أنزلت عليه السورة؛ وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه، وأن النبى لما عرضها على جبريل، قال : ما هكذا أقرأتك؛ وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبى قرأها؛ فلما بلغ النبى ذلك قال : والله ما هكذا نزلت؛ إلى غير ذلك من اختلاف الرواة"[5]0

2- وقال الإمام الرازى : "أهل التحقيق قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة، ونقل عن الحافظ ابن خزيمة، أنه سئل عن هذه القصة فقال : هذا وضع من الزنادقة، وصنف فيه كتاباً، كما حكى عن الإمام البيهقى قوله : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم"[6]0

---

1 () وإذا كان من العلماء من يحتج بالضعيف إذا كثرت طرقه، وبناء عليه يعتمد حديث الغرانيق كابن حجر، فإنا سنعرف رأيه، ثم نناقشه فيه بعد قليل 0
2 () نسيم الرياض فى شرح الشفا للخفاجى 4/87، وينظر : الشفا 2/126 0
3 () الشفا 2/126 0
4 () مناهل الصفا ص 221 0
5 () الشفا 1/125 0
6 () التفسير الكبير 12/51 وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط 6/382 معقباً على كلام البيهقى : ولذلك نزهت كتابى

3- وقال الإمام ابن حزم : "وأما الحديث الذى فيه "وإنهن الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى" فكذب بحت موضوع، لأنه لم يصح قط من طريق النقل، فلا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد"[1]0

4- وقال فضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون بعد أن فند الروايات التى ذكرها الإمام السيوطى فى تفسيره، وأجاد فى الرد عليها بما يغنى عن ذكره قال : "ليس فى روايات فرية الغرانيق، رواية قط متصلة الإسناد على وجه الصحة، ولم يذكر فى جميع الروايات صحابى قط على وجه موثق، وما ذكر فيه باسم ابن عباس، فكلها ضعيفة واهية خلا رواية سعيد بن جبير على الشك فى إسنادها إلى الحبر ابن عباس، والشك يوهيها"[2]0

عن ذكره فيه أهـ المراد نقله. وقال الشوكانى فى فتح القدير 3/461 "ولم يصح شئ من هذا،ولا ثبت بوجه من الوجوه". وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/438 0

1 () الفصل فى الملل والنحل 2/308، 309، 311 0

2 () محمد رسول الله 0 2/69

خامساً : القصة لم يخرجها أصحاب الكتب الصحاح :

فرية الغرانيق لم يخرجها أحد من أصحاب الصحاح، ولا أحد من أصحاب الكتب المعتمدة كالسنن الأربعة، ومسند الإمام أحمد، كما زعم كذباً بعض أعداء السنة المطهرة والسيرة العطرة[1] والذى رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس : "أن النبى قرأن النجم وهو بمكة، فسجد معه المسلمون والمشركون، والجن، والإنس" وفى رواية للبخارى أيضاً عن ابن مسعود قال : "أول سورة أنزلت فيها سجدة "والنجم" قال : فسجد رسول الله ، وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف"[2]0

فأنت ترى هنا أن البخارى اقتصر على هذا الجزء الصحيح من القصة، وليس فيه البتة فرية الغرانيق! فأين هذا مما يزعمه بعض الرافضة من إيهام القارئ أن فرية الغرانيق ذكرها الإمام البخارى فى صحيحه؟![3]0

سادساً : سؤال بعضهم :

"كيف سجد المشركون عند نهاية السورة لقوله تعالى : **فاسجدوا لله واعبدوا**[4] مع أنهم يرفضون السجود لله؟ قال تعالى : **وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً**0[5]

فالجواب :

إن سجود أهل الشرك كان لما سمعوه من أسرار البلاغة الفائقة، والفصاحة البالغة، وعيون الكلم، الجوامع لأنواع من الوعيد والإنكار، والتهديد والإنذار، وقد كان العربى يسمع القرآن فيخر له ساجداً[6]0

يقول الأستاذ سيد قطب : "سجود المشركين كان لاعتبارين :

---

1 () يراجع : قول أحمد حجازى السقا ص 310 0

2 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب فاسجدوا لله واعبدوا 8/480 رقمى 4862، 4863 0

3 () يراجع : قول : جعفر مرتضى العاملى ص 310 0

4 () الآية 62 النجم 0

5 () الآية 60 الفرقان. وينظر : الصحيح من سيرة النبى لجعفر مرتضى العاملى 3/145 0

6 () السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة 1/367 0

الاعتبار الأول : كامن فى ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن. ولهذه الإيقاعات المزلزلة فى سياق هذه السورة... خصوصاً إذا كان القارئ هو سيدنا رسول الله ، الذى تلقى هذا القرآن مباشرة من مصدره، وعاشه وعاش به، وأحبه حتى لكان يثقل خطاه إذا سمع، من يرتله داخل داره، ويقف إلى جانب الباب يسمع له حتى ينتهى 0

وفى هذه السورة بالذات كان يعيش لحظات عاشها فى الملأ الأعلى، وعاشها مع الروح الأمين، وهو يراه على صورته الأولى 0

والاعتبار الثانى : أن أولئك المشركين لم تكن قلوبهم ناجية من الرعشة والرجفة، وهم يستمعون إلى سيدنا محمد . إنما كان العناد المصطنع هو الذى يحول بينهم وبين الإذعان 0

ومثل هؤلاء إذا استمعوا إلى سورة النجم من رسول الله فأقرب ما يحتمل أن تصادف قلوبهم لحظة الاستجابة التى لا يملكون أنفسهم إذاءها، وأن يأخذوا بسلطان هذا القرآن؛ فيسجدوا مع الساجدين بلا غرانيق ولا غيرها من روايات المفترين"[1]0

قلت : فسجودهم كان معجزة لرسول الله ، بقهر المشركين، وإجبارهم على السجود، كما قال عز وجل : **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين**[2] وكما ألقى سحرة فرعون ساجدين لما رأوا معجزة سيدنا موسى عليه السلام، تلقف ما يأفكون، ألقى كفار قريش سجداً لمعجزة سيدنا رسول الله ، وهى معجزة سيخر لها أهل الكفر إلى يوم الدين أهـ 0

---

1 () فى ظلال القرآن 6/3420 – 3422 0
2 () الآية 4 الشعراء 0

سابعاً : الرد على المثبتين للقصة :

سبق التنويه على أن بعض المفسرين، والمحدثين، ذكروا قصة الغرانيق فى كتبهم، وقرروا قبول سندها، مع ردهم لما جاء فيها من مدح الأصنام "تلك الغرانيق العلا...الخ" وتأويلهم لها 0

والجدير بالذكر هنا ما قاله الإمام ابن حجر، لأنه عالم متبحر محقق تابعه فى كلامه أئمة أعلام أيضاً[1] وكذلك لأن كلام الإمام اعتمد على الصناعة الحديثية، فاستحق التنويه والتعقيب بخلاف غيره[2] قال الإمام ابن حجر بعد تصريحه القاطع فى الحكم على روايات القصة بالضعف والانقطاع قال : "لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين، أحدهما : ما أخرجه الطبرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والثانى : عن أبى العالية[3]0

قال الحافظ : وقد تجرأ أبو بكر بن العربى كعادته فقال : ذكر الطبرى فى ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها[4] وهو إطلاق مردود عليه، وكذا رد الحافظ كلام القاضى السابق ذكره، ثم قال : وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله : "ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى" فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ، أن يزيد فى القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً، إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته"[5]0

---

1 () كالسيوطى فى الدر المنثور 6/65، ومناهل الصفا ص 221، والقسطلانى فى المواهب اللدنية، والزرقانى فى شرحه على المواهب 2/19 – 26، وذلك فى نهاية كلامهما، بعد أن كانا فى فاتحته مع ما قاله القاضى عياض من رد القصة وإبطالها 0

2 () مثل الإمام ابن تيمية فى كتابه الفتاوى 10/170 – 172 حيث عمم الكلام فى إثبات القصة دون تحقيق منه، على خلاف عادته وقد كفانا فى الرد عليه فضيلة الشيخ عرجون فى كتابه محمد رسول الله 2/87 – 104 [illegible]

3 () جامع البيان 17/186، 187، ويراجع : تخريج القصة ص 313 0

4 () ينظر : أحكام القرآن 3/1290 0

5 () فتح البارى، كتاب التفسير، باب سورة الحج 8/293 0

والكلام مع الإمام الحافظ ابن حجر فيما قاله يجرى على وجوه :

الوجه الأول : يتعلق بروايات القصة والتى ساقها الحافظ ثم عقب عليها بقوله : "وكلها سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف، وإما منقطع"[1] أى فلا تقوم به حجة، وهذا نص قاطع من ابن حجر يضاف إلى نصوص الأئمة السابق ذكرها، فى أن روايات هذه القصة ضعيفة السند، واهية المخرج، لا تصلح للاحتجاج بها، بما فى ذلك طريق ابن جبير على ما سبق 0

الوجه الثانى : يتعلق بعصمة رسول الله ، فى بلاغ وحى الله تعالى، وعدم الخطأ فيه، لا عمداً ولا سهواً، وكذا عصمته من تسلط الشيطان عليه، وهى عصمة ثابتة له ، بشهادة القرآن والسنة والتاريخ، وإجماع الأمة على ما سبق شرحه[2] وهو ما يتعارض مع ما جاء فى هذه القصة من تسلط الشيطان عليه، وإلقائه على لسان رسول الله ، فى ثنايا تلاوته آيات الله المنزلة بالوحى، أخبث كلمات الكفر التى تشيد بالأوثان مدحاً وتعظيماً، وهو ما ينقض بنيان العصمة من أساسه؟0

الوجه الثالث : يتعلق بالثقة بوحى الله تعالى إلى رسله، فإذا فتح للشيطان أدنى منفذ للتسلط على رسل الله تعالى، وتلقينهم أخبث الكفر، دون أن ينتبهوا إلى ما يلقى إليهم من ذلك، ويبلغوه إلى أممهم فيما يبلغونه عن الله تعالى، لم يبق للأمة ثقة فيما تسمع من رسولها، وهذا بلا شك، هدم لدعوات الرسل، وإبطال لرسالاتهم 0

الوجه الرابع : يتعلق بالثقة بنبينا سيد الأنبياء والمرسلين محمد فى معرفته بأسلوب القرآن ومعانيه، معرفة لا تسمو عليها معرفة أحد، لأنه القيم على تمييز أسلوبه وروعة بيانه، والمثل الأعلى فى العلم بحقائقه الإيمانية، فإذا جاز أن يلقى إليه الشطان كلمات أخبث الكفر، فى أثناء تلاوته لآيات الله تعالى، الموطدة لدعائم التوحيد، وهدم الوثنية والشرك – كما تزعم أقصوصة الغرانيق – على سمع جموع المسلمين، والمشركين، ثم لا يتنبه لذلك، ولا يميز بين ما هو قرآن كريم من عند الله تعالى؛ وما هو كفر خبيث من إلقاء الشيطان، فماذا بقى لهذا الرسول الكريم من ثقة فى نفوس المؤمنين به؟0

فقول الحافظ ابن حجر بعد سوقه كلام القاضيين أبى بكر بن العربى، وعياض : وجمع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها، دل ذلك على أن لها أصلاً. من أغرب قضايا العلم فى منهج الإسلام؛ فالأمر يتعلق بأقصوصة إذا سلمت كانت معولاً هداماً لأصل أصول الإسلام، بل أصل أصول الدين كله فى جميع رسالات الله تعالى إلى جميع أنبياءه ورسله،

---

1 () فتح البارى فى الأماكن السابقة نفسها 0

2 () يراجع : ص 264 – 278 0

لأنها تطعن فى عصمة الأنبياء، وتقرر أن الشيطان صاحب سلطان عليهم، وهذه مزلقة لا ينتهى من يقع فيها إلا إلى هاويه لا قرار لها 0

الوجه الخامس : أن قاعدة الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلت على أن موضوع الروايات له أصل ليست على عمومها، ففى باب العقائد لا يقبل إلا النص الصحيح المقطوع بصحته، وفى غير أبواب العقائد من الأحكام الفرعية، فإن هذه القاعدة مقيدة، كما قال المحدثون. بالضعف الذى يزيله ما يجبره، وذلك إذا كان الضعف ناشئاً عن ضعف حفظ الراوى، أما الضعف الذى لا يزول لقوته، وتقاعد الجابر عن جبره ومقاومته فلا وزن له، ولو جاء من سبعين طريقاً متباينة المخارج، وذلك كالضعف الذى ينشأ من كون الراوى متهماً بالكذب – كما فى بعض روايات أقصوصة الغرانيق التى جاءت من طريق الكلبي[1] وهو كذوب ولا تجوز الرواية عنه، ومثل ذلك كون الحديث شاذاً[2]0

ثم قال الحافظ ابن حجر : وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها – أى من روايات قصة الغرانيق – على شرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض 0

قلت : إن هذا التعميم فى الاحتجاج بالمرسل عند من يقول به، ومن لا يقول به غير مسلم، لأن الخلاف فى الاحتجاج بالمرسل إنما هو فى أحكام الفروع، ولا يمكن أن يكون جارياً فى أصول العقائد، لأنها لا تثبت إلا بدليل صحيح، والمرسل ضعيف عند جمهور المحدثين كما قال الإمام مسلم : "إن المرسل من الروايات فى أصل قولنا، وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة"[3] وقال ابن الصلاح : "ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف، إلا أن يصح مخرجه من وجه آخر، وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل، والحكم بضعفه هو المذهب الذى استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث، ونقاد الأثر"[4]0

---

1 () هو محمد بن السائب بن بشير الكلبى، متهم بالكذب، ورمى بالرفض، ورضوه فى التفسير، كما قال الحافظ فى تقريب التهذيب 2/78 رقم 5920، ولسان الميزان 9/104 رقم 14221 وينظر : الضعفاء لأبى نعيم ص 138 رقم 210، والضعفاء والمتروكين للنسائى ص 211 رقم 539، والضعفاء الصغير للبخارى ص 105 رقم 322 0

2 () ينظر : فتح المغيث للسخاوى 1/311 – 314، والتبصرة والتذكرة للعراقى 1/291، وتوضيح الأفكار للصنعانى 1/109 – 113، والأجوبة الفاضلة لمحمد اللكنوى ص 36 وما بعدها 0

3 () مقدمة صحيح مسلم، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن 1/163 0

4 () علوم الحديث ص 49 0

الوجه السادس : أن الأمام ابن حجر يرى فى القصة ما هو محال أن يقع من رسول الله ﷺ، وهو الزيادة فى القرآن عمداً أو سهواً، بيد أنه لم يشأ أن يقف عند هذه النتيجة التى كانت أمراً طبيعياً يسوق إليها البحث العلمى، وينتهى بها إلى أن هذه الأقصوصة أكذوبة باطلة، ما كانت تستحق أن تجول ساحبة ذيولها فى ساحة سيرة سيد المرسلين محمد ﷺ، ولكنه خضع لقواعد الصنعة فى غير محلها – حيث يمس الأمر العقائد – وراح يتشبث بالتأويل فيما رآه محالاً، وحكى من ضروب هذا التأويل أقوالاً كلها بعيدة عن نص روايات القصة. وحتى التأويل الذى استحسنه ورجحه بعض الأئمة، بالتأمل فيه ترى أنه غير مقبول، وترده نص روايات القصة[1]0

انظر مثلاً : قول القاضى : "والذى يظهر ويترجح عند ابن العربى[2] وعند غيره من المحققين على تسليمه، أن النبى ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً، ويفصل الآى تفصيلاً فى قراءته، كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات، ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكياً نغمة النبى ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبى ﷺ وأشاعوها"[3]0

قلت : وهذا التأويل الراجح عند ابن العربى، وارتضاه الحافظ[4] وغيره ممن تابعه قديماً وحديثاً، ما أضعفه عند النظر والتأمل، فهو يوقع القائل به فيما فر منه، وهو تسلط الشيطان على رسول الله ﷺ، وعدم عصمته فيما يبلغ عن ربه عز وجل، حيث أن التسلط بالمحاكاة كالتسلط عليه بالإجراء على لسانه، كلاهما لا يجوز، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات الإلهية 0

وإذا سلمنا أن الشيطان هو الذى نطق بهذا المنكر من القول فى أثناء سكوت النبى ﷺ؛ فكيف لم يسمع ما حكاه الشيطان؟! وإذا كان سمعه فلم لم يبادر إلى الإنكار، والبيان فى مثل هذا واجب على الفور؟!0

وإذا لم يسمع النبى! ألم يسمع أصحابه؟ وإذا سمعوا فلم لم يبادروا إلى تنبيه الرسول ﷺ؟!0

وأهون من هذا فى الإبطال وأشد فى الاستغراب ما ذكره موسى بن عقبة فى مغازيه، من أن المسلمين ما سمعوها، وإنما ألقى الشيطان بهذه المقالة فى أسماع المشركين!!0

---

1 () ينظر : محمد رسول الله ﷺ [illegible] – [illegible] ﷺ

2 () أحكام القرآن 3/1290 0

3 () الشفا 2/130، وشرحه لعلى القارى 2/234 0

4 () فتح البارى، كتاب التفسير، باب سورة الحج 8/294 0

فهل كان الشيطان يسر بها فى آذان المشركين دون المسلمين؟ ثم كيف يتفق هذا الذى اختاروه، وما روى من أن النبى حزن حزناً شديداً، وأن جبريل قال له : ما جئتك بهذا؟![1]0

فإذا كان هذا المستحسن عن بعض الأئمة ترده نفس الروايات الضعيفة، فمن باب أولى باقى التأويلات التى ذكر معظمها الإمام ابن حجر وردها كما ردها من سبقه من الأئمة[2]0

معنى آية التمنى :

وإذ قد انتهينا إلى هذه النتيجة الممحصة، فآية التمنى فى قوله تعالى :

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم[3] لا صلة لها بفرية الغرانيق لما يلى :

1- آية التمنى فى سورة الحج، وهى مدنية بالاتفاق، ولاسيما وأنه قد ورد فيها الأمر بالأذان فى الناس بالحج، والأمر بالقتال، والأمر بالجهاد، وذكر فيها الصد عن المسجدالحرام، وكل ذلك إنما كان بعد الهجرة، وبعضه أتى بعدها بعدة سنوات، وهذا يعنى أن هذه الآية قد نزلت بعد الغرانيق بسنوات عديدة، لأن قصة الغرانيق قد حصلت فى السنة الخامسة من البعثة، فكيف أخر الله تسلية وتهدئة خاطر الرسول هذه السنين الطويلة؟!0

إن آية التمنى ليس فيها دلالة على شئ من فرية الغرانيق من قريب أو بعيد، لولا ما افتراه الزنادقة من مراسيل واهية فى أسباب نزولها! وقد فسر آية التمنى كثير من جهابذة علماء الإسلام فى تفاسيرهم المتداولة بين الأمة، ولم يظهر لهم قط حاجة إلى إلصاق القصة بتفسير الآية، ومن هؤلاء المفسرين الجهابذة، أبو حيان فى تفسيره (البحر المحيط)[4] والشوكانى فى تفسيره

---

1 () ينظر : السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة 1/369، والروض الأنف للسهيلى 2/153، 154، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/440 0

2 () ينظر : الشفا 2/129، 130، وفتح البارى 8/293، 294، ومحمد رسول الله 2/138 – 146 □□ □□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□/ □□ – □□ □

3 () الآية 52 الحج 0

4 () 6/380 – 382 0

(فتح القدير)[1] وأبو بكر بن العربى فى (أحكام القرآن)[2] على أن معنى الآية لا ينسجم مع مفاد الرواية، فإن التمنى هو : تشهى حصول أمر محبوب ومرغوب فيه[3] فالرسول إنما يتشهى ويتمنى ما يتناسب مع وظيفته كرسول، وأعظم أمنية لإنسان كهذا، هى ظهور الحق والهدى، وطمس الباطل، وكلمة الهوى، فيلقى الشيطان بغوايته للناس ما يشوش هذه الأمنية، ويكون فتنة للذين فى قلوبهم مرض، كما ألقى فيما بين أمة موسى من الغواية ما ألقى، فينسخ الله بنور الهدى غواية الشيطان، ويظهر الحق للعقول السليمة 0

أما لو أردنا تطبيق الآية على ما يقولون : فإن المراد بالتمنى يكون هو القراءة والتلاوة، وهو معنى شاذ غريب، يخالف الوضع اللغوى، وظاهر اللفظ، أما الشعر المنقول عن حسان بن ثابت، كشاهد على ذلك، فمشكوك فى نسبته إليه[4]0

وحتى لو قبلنا أن المراد بالتمنى هو التلاوة، فإن من الممكن أن يكون المراد من الآية هو: إعلام المولى عز وجل لرسوله ، بأن من أرسل قبله من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه، حرفوا عليه، وزادوا فيما يقوله ونقصوا، كما فعلت اليهود والنصارى فى الكذب على أنبيائهم قال تعالى : **ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه**[5] وقال سبحانه : **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه**[6] وقال عز وجل : **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**[7] وقال تعالى : **واتبعوا ما تتلوا الشياطين**[8] فأضاف ذلك إلى الشيطان لأنه

---

1 () 3/461 0
2 () 3/1287 – 1292 0
3 () ينظر : لسان العرب 1/140 – 144 حيث ساق شواهد من الحديث والآثار وكلام أئمة اللغة، تدل على أن معنى التمنى والأمنية، هو : الإرادة والمحبة، والرغبة فى حصول الشئ واشتهاء وقوعه أهـ 0
4 () ينظر : الصحيح من سيرة النبى الأعظم 3/144، ومحمد رسول الله 2/70، 73 0
5 () جزء من الآية 41 المائدة 0
6 () الآية 46 النساء 0
7 () الآية 75 البقرة 0
8 () الآية 102 البقرة 0

يقع بوسوسته وغروره، ثم بين الله عز وجل أنه يزيل ذلك ويدحضه بظهور حجته وينسخه بشريعة نبيه ومصطفاه ، تلك الشريعة التى تعهد رب العزة بحفظها فى قوله تعالى : **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** 0[1]

وفى هذه المعانى قال أبو حيان : "ذكر الله تعالى مسلاة لنبيه، باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء، وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم، متمنين لذلك، مثابرين عليه، وأنه ما منهم أحد إلا وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه، وبث ذلك إليهم، وإلقائه فى نفوسهم، كما أنه كان من أحرص الناس على هدى قومه، وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحارث، يلقون لقومه، وللوافدين عليه شبهات يثبطون بها عن الإسلام، ولذلك جاء قبل هذه الآية : **والذين سعوا فى آياتنا معاجزين**[2] وسعيهم بإلقاء الشبه فى قلوب من استمالوه، ونسب ذلك إلى الشيطان؛ لأنه هو المغوى والمحرك شياطين الإنس للإغواء لما قال "لأغوينهم" ومعنى : **فينسخ الله ما يلقى الشيطان** يزيل تلك الشبه شيئاً فشيئاً حتى يسلم الناس كما قال : **ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا** [3]**ثم يحكم الله آياته** معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها **ليجعل ما يلقى الشيطان** من تلك الشبه وزخارف القول "فتنة" لمريض القلب ولقاسية، وليعلم من أوتى العلم أن ما تمنى الرسول والنبى من هداية قومه، وإيمانهم هو الحق. وهذه الآية ليس فيها إسناد شئ إلى رسول الله ، إنما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنوا"[4]0

وصفوة القول : أن الذين أثبتوا القصة أجمعوا على رد معناها حيث جمعت بين ضعف السند والمتن، وقوة المعارض من القرآن الكريم، وتاريخ سيرته العطرة، وإجماع الأمة على عصمة رسول الله من كل ما يخل بالتبليغ، وهذا كله يدعونا إلى أن نصدع بأن قصة الغرانيق مكذوبة، اختلقها الزنادقة الذين يريدون إفساد الدين، والطعن فى عصمة سيد الأنبياء وإمام المخلصين 0

وبعـــد :

---

1 () الآية 9 الحجر، وينظر : تنزيه الأنبياء للموسوى ص 107، ومحمد رسول الله 2/72 – 78 0

2 () الآية 51 الحج 0

3 () الآية 2 النصر 0

4 () البحر المحيط 6/381 0

فإن الناظر فيما ساقه القوم من شبهه – يلاحظ مدى تحير القوم، وترددهم واضطرابهم، فى تحديد المصدر الذى صدر عنه الوحى الذى جاء به رسول الله 0

فانظر كم قلبوا من وجوه الرأى فى هذه المسالة؟ فمرة يقولون كذا، ومرة يقولون كذا، كما علمت فى المطالب السابقة. فإن شئت أن تطلع على هذه الصورة المضحكة من البلبلة الجدلية فاقرأ وصفها فى قوله تعالى : **بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر**0[1]

فهذه الجملة القصيرة تمثل لك بما فيها من توالى حروف الإضراب مقدار ما أصابهم من الاضطراب فى رأسهم، وتريك صورة شاهد الزور إذا أحس بحرج موقفه، كيف ينقلب ذات اليمين وذات الشمال 0

وإذا كان أعداء الإسلام من المستشرقين يتحيرون ويضطربون فى تحديد مصدر الوحى، فأذيالهم وأبواقهم من أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة هم كذلك يتحيرون ويتناقضون؛ وهم يطعنون فى الوحى المنزل على رسول الله 0

فإلى بيان ذلك فى المبحث التالى 0

---

[1] () الآية 5 الأنبياء 0